# لم تمت ... سوف تأتي وتلعب معنا

أميرة عايد السناوي

لا أعرف كيف أبدأ، أو وماذا أكتب؟ هل أكتب عن حياتي من الطفولة إلى الآن؟ هل تكفي هذه السطور والأوراق للكتابة عن حياتي وعن أحلامي؟ طبعاً لا، ولكنني سوف أختبر ذلك. طفولتي كانت جميلة، طفولة البراءة والعفوية واللعب والضحك، مع أني مررت بأحزان وفترات صعبة في الروضة، كنت أحب معلمتي فاطمة، كانت حنونة وطيبة، وتحبنا، وتمنيت أن أكون مثلها. بعض الأولاد كانوا مشاكسين، أوقعني أحدهم على الأرض، وتكسرت أسناني الأمامية، وبكيت، وبعدها كرهت الأولاد من تصرفاتهم، وسبحان الله أنجبت ثلاثة منهم، ولم أنجب بنات، واستلمت الشهادة، وكانت الفرحة تغمرني.

أطفال روضة بيت دقو في لقاء ضمن مشروع تبادل مربيات الطفولة المبكرة- برنامج القطان للبحث والتطوير التربوي 2016.

وعلى الرغم من فرحتي، فإنني شعرت بالحزن، لأنني سوف أبتعد عن «مس» فاطمة، وأنتقل إلى المدرسة الابتدائية، وأبتعد عن أصدقائي. في أول يوم لي في المدرسة، كنت خائفة، ولكن مع الأيام تعرفت على صديقات، وكنا نلعب ونضحك وندرس مع بعضنا البعض. أحببت المدرسة والمعلمات. وفي أحد الصفوف، لا أذكر أهو الصف الثاني أم الثالث، كانت لي صديقة اسمها آسيا، وكنت أحبها كثيراً. وفي أحد الأيام، جاءت المعلمة فريال والمديرة سعاد إلى الصف، وتحدثت معنا، ولكن الموضوع لم يكن عن الدراسة، وإنما عن شيء آخر، فاستغربنا وقلقنا، لم يكن الوضع طبيعياً بين المعلمات، مس فريال كانت تتحدث وهي مرتبكة، وقالت تعلمون أن صديقتكم آسيا كانت مريضة، ولم تأتِ إلى المدرسة هذا الأسبوع، وبعدها قالت: للأسف، آسيا توفيت!

كادت المعلمة تبكي، لكنها تماسكت أمامنا، فصدمنا ولم نعرف ماذا نقول. عمَّ المكان بالصمت، وبعدها خرج صوت بكاء وصياح، وأنا ما زلت مصدومة، ماذا تقول المعلمة؟ آسيا لم تمت، ما زالت على قيد الحياة، وسوف تأتي لتلعب معنا، وبعدها قالت المديرة: الله يرحمها.

ذهب الجميع إلى الجنازة، لكنني لم أستطع الذهاب، وفضلت أن أذهب إلى البيت لأبكي وأصرخ وحدي: آسيا .. آسيا لم تمت، وبعدها مرضت حزناً عليها، وبقيت فترة لا أتكلم مع أحد، ولم أكن أريد الذهاب إلى المدرسة حتى لا أتذكر آسيا.

ما زالت حتى اللحظة صورة آسيا وذكرياتها لا تفارق مخيلتي، لم أنسها، فقد تأثرت بموتها كثيراً، وأصبحت أخاف من أن يموت أحد ويبتعد عني، وأصبحت أخاف من كلمة الموت، لقد تغيرت بعد موتها، فالصدمة أثرت علي داخلياً، وأصبحت ضعيفة وحزينة وغير متحمسة للدراسة والمدرسة.

مرت الأيام والسنين وأنا في المدرسة مع صديقاتي نلعب وندرس، والجميع يقول لي عندما أتعرض إلى مواقف صعبة، أن باستطاعتي تجاوزها، وأن شخصيتي قوية وجميلة، وأدافع عن نفسي، ولكنني لست كذلك، فأنا ضعيفة من الداخل، وبخاصة بعد موت صديقتي، ولكني لا أظهر ذلك، وقد أثر ذلك، أيضاً، على علاماتي في المدرسة.

في المرحلة الثانوية كرهت اللغة العربية بسبب معلمتي، لأنها كانت صارمة وشديدة وعصبية، وشخصيتها قويه. كانت تدقق على المادة كثيراً في الحركات والقراءة والإعراب. كانت تحب الإعراب كثيراً، وكنا ضعفاء فيه. كنا مقيدين في الصف، لم يستطيع أحد أن يخرج صوتاً أو نفساً. هل هذا هو الاحترام أم الخوف أم الاثنان معاً؟ كنت أحب مادة الرياضيات وأنا صغيرة، ولكن بعد تغير المعلمة وتغير أسلوب التدريس، لم أعد الطالبة التي كانت تحب الرياضيات، فهل هذا بسبب المعلمة؟ هل المعلمة هي التي تحبب الطلبة بالمادة؟

وصلت مرحلة التوجيهي، وكنت متفوقة في الدراسة، وكانت فترة جميلة، كانت تعتني بي جدتي وجدي ويحبانني كثيراً، لأني حفيدتهما الأولى، ويدللاني كثيراً، أكثر من والدي، وكنت أذهب إلى أي مكان أريد دون قيود.

جاءت فترة الامتحانات، وتزامنت من تصاعد اعتداءات الاحتلال الإسرائيلي، الذي شن حملة اعتقالات في المكان الذي أعيش فيه. لم أكن أستطيع أن أدرس خلال فترة الامتحانات النهاية، لأن قوات الاحتلال كانت تأتي ليلاً ويرعبوننا بأصواتهم وأصوات كلابهم، والضرب، والطرق على الأبواب، وقام جنود الاحتلال باعتقال ابن جيراننا، وكانوا يفتشون البيوت والأراضي المجاورة. وبقينا على هذا الحال أياماً، لم أستطع خلالها الدراسة جيداً، فقد كانت فترة صعبة ومخيفة. كنت أذهب إلى الامتحان ولا أعرف ما الذي يحدث لي، أرتبك ولا أعرف كيف أبدأ، أو ماذا أكتب، المعلومات كانت تتبخر من عقلي. ماذا يحدث لي؟ هل اعتداءات جنود الاحتلال هي السبب؟ وهل أثّرت على دراستي؟

جاء موعد النتائج، وكان الخوف يتملكني، ولكني، الحمد لله، نجحت، إلا أن معدلي لم يكن كما كنت أطمح، فالتحقت بجامعة القدس المفتوحة بسبب المعدل والظروف المادية، ودرست إدارة أعمال، لأني كنت أحب المكاتب، والاختلاط بين الناس، كنت أحس أن شخصيتي موجودة في تخصص الإدارة.

بعد سنة تزوجت وتركت الجامعة، وعدت بعد سنتين، ولكن انتقلت من الإدارة إلى تخصص تربية، «لأن الفتاة عندما تتزوج يكون من الأفضل لها ولبيتها أن تكون معلمة». أكملت تخصص التربية الابتدائية، وأنهيت الدراسة، وكان لدى ثلاثة أطفال. تحملت وصبرت حتى أنهيت دراستي الجامعية. بمساعدة زوجي، استطعت التغلب على المصاعب التي كنت أواجهها أثناء الدراسة من أعمال بيت، وتربية أطفال. وقد كان زوجي الداعم لي في إتمام دراستي. وأتذكر أنه في أحد الفصول الدراسية كنت قد أنجبت ابني الصغير، وكنت مسجلاً لمساق التربية العملية، ولم أستطع أن أداوم كثيراً في المدرسة، ولم تراعِ أستاذتي وضعي، وجعلتني أعيد المساق، لكني في النهاية تخرّجت بمعدل 74%.

جاء دور البحث عن العمل، ولم أتوقع أن أصبح معلمة، مع أني أحب مهنة التعليم. لكنني عملت معلمة بعقد مؤقت في إحدى المدارس الحكومية البعيدة، ولم يهمني البعد، بل المهم أن أعمل في مجال التعليم، وتصبح لدي خبرة. أحببت العمل والأطفال، مع أن المكان بعيد ومتعب، وأنهيت العقد، وانتظرت توظيف الحكومة، ولكن، للأسف، لا يوجد عمل فيها، ويجب أن تكون هناك واسطة «الواو».

في أحد الأيام، قالت لي صديقتي إن أختها تبحث عن معلمة للصف الثالث، ويجب أن أذهب غداً إلى المدرسة للتحدث معها، وكان أول يوم دراسي. أخبرتني أن أبدأ العمل فوراً. لم أتوقع أن يكون هذا العمل أول يوم لي، لأني لم أكن مهيأة للمباشرة به، وكان عدد الأطفال يتجاوز 34 طالباً وطالبة. انصدمت في البداية، وبدأت بالتعريف عن نفسي والتعرف على أسمائهم، ومع مرور الأيام أحببت التدريس وأحببتهم. كانت الأمور صعبة في البداية، واستطعت أن أكوّن علاقات جيدة مع محيط المدرسة من مدرسات، وتلاميذ، وكنت أتقرب منهم حتى يحبوني ويحبوا المواد التي أدرسها لهم، وفي نهاية الفصل كنت سعيدة بما قدمته لهم وراضية عن نفسي. بعض الأهالي كانوا يشجعونني نتيجة أسلوبي الجيد في التدريس، والتعامل مع التلاميذ داخل الصف وخارجه، حيث انعكس هذا الشيء عليَّ بطريقة إيجابية، إذ زاد من تحفيزي لتطوير خبرتي من حيث أساليب التدريس وطرق التعامل مع الطلبة.

كنت أشعر بسعادة كبيرة عندما أرى أحد طلابي في مكان ما ويقول هذه معلمتي مس أميرة وهو سعيد، ما أجمل هذا الشعورّ!

التعليم مهنة جميلة، وبخاصة عندما تتعمق في التدريس ومعرفة الطلاب، فهي جميلة ليس من أجل المال، وإنما من أجل الأطفال وبراءتهم، وهي مهنة صعبة ومتعبة في الوقت ذاته.

كانت السنة الأولى صعبة، فقد درست فيها الصف الثالث الأساسي بمنهاجه الصعب، والمعلومات الكثيرة، وأصبحت لدي معلومات وخلفية عن المنهاج، وما ساعدني في ذلك أنني كنت قد درَّست ابني منهاج الصف الثالث، فساعدني ذلك وسهّل الأمر عليّ، لأن منهاج الصف الثالث أصعب من منهاج الصف الثاني، وبخاصة مادتي الرياضيات والعلوم، ويوجد كم هائل من المعلومات أشعر أنه أكبر من طاقة استيعاب الطلبة، فكان عليّ أن أبسِّط الأمور والمعلومات حتى أقدمها بسهولة ويسر للطلاب، من خلال الوسائل والألعاب، مثل جداول الضرب والقسمة، ولعبة الشدّة والمجسمات.

كان لدي طالب نشيط في المشاركة، ولديه معلومات جيدة، ولكن لا يعرف الكتابة، فصدمت، وتساءلت: هل السبب من والديه لأنهما منفصلان ولا يهتمان به كثيراً، أم من المدرسة، أم من أمر آخر لا أعرفه؟ بدأت بتعليمه الأحرف والكلمات من جديد، والتدريب على الكرّاسة، وكنت أجلسه بجانبي حتى أقرأ له السؤال، وهو يجيب عنه شفوياً، وكانت معظم إجاباته صحيحة، حتى استطاع أن يكتب ويجيب عن أسئلة الامتحان وحده.

في السنة الثانية، تفاجأت، أيضاً، بوجود طالب من ذوي الاحتياجات الخاصة في صفي. وتساءلت: هل أستطيع أن أدرّس وأضبط الصف بوجوده، وأضبط تصرفاته؟ هل يمكن تدريسه كباقي الطلبة في الصف؟ ألا يجب أن يكون في مكان آخر للاعتناء بحالته الخاصة. ولكن، يوماً بعد يوم، استطعت أن أتعامل معه، وأتصرف معه، وأعرف ماذا يحب، وماذا يكره، وكيف أتعامل معه. وقد تعاملت معه بالمحبة والحسنى، ما جعلني قوية، وأثر في تدريسي، وعلمني التحمل والصبر.

كانت السنة الثانية أسهل بكثير من سابقتها، وكنت أشعر بالراحة والسعادة، والمنهاج كان أكثر سهولة، لأني فهمته أكثر، وتعمّقت فيه، وكانت المديرة تشاهد حصصاً لي، وكانت تمدح أسلوبي في التدريس، ما زادني عزيمة وإرادة أن أكون أفضل. ولكن، يبقى السؤال: هل أستطيع أن أتحمل التدريس وأن أبقى في المدرسة الخاصة مع أني أحب الأطفال والتعليم، وبخاصة في ظل الرواتب المتدنية؟

**مدرسة العودة الأساسية المختلطة/ العيزرية**

أطفال روضة بيت دقو في لقاء ضمن مشروع تبادل مربيات الطفولة المبكرة- برنامج القطان للبحث والتطوير التربوي 2016.